رالف داهرندورف ونظرية الصراع الهيكلي

مقدمة:

رالف داهرندورف (Ralf Dahrendorf, 1929-2009) عالم اجتماع ألماني-بريطاني، فيلسوف سياسي، ومفكر ليبرالي. يُعتبر من أبرز منظري الصراع في النصف الثاني من القرن العشرين، ومن أهم المجددين لنظرية الصراع بعد ماركس.

موقف داهرندورف:

قدم نظريته الصراعية التي تركز على التفاوت في القوة و السلطة في التنظيمات البيروقراطية الكبرى كمصدر لاحتمال نشوء الصراع

فمصدر الصراع لا يرجع الى العوامل المادية التي أكد عليها ماركس بل يرجع الى سيطرة الطبقة التيكنوقراطية على القوة و النفوذ في الدوائر التي يعملون فيها

فقد رأى في تفاوت القوة الممثلة في السلطة بالتنظيمات الرسمية الكبرى كمصدر لاحتمال الصراع فقسم البناء في التنظيم إلى علاقات منظمة بين من يمتلكون السلطة ويمارسونها مقابل الخاضعين المنفذين لأوامر وقرارات الفئة الأولى ... وينتج عن هذا التباين في البناء التنظيمي وجود جماعة تملك القوة والسلطة وجماعة خاضعة... إنّ مفهوم السلطة يعني شرعية تملك القوة وممارستها إذن ينبغي أن يكون توزيعها مرتبط بتوزيع الحقوق والواجبات ويعزز ذلك وجود نظام من العقاب والثواب لكن الذين يملكون السلطة يريدون الإبقاء على الوضع القائم بينما يحاول الخاضعون تغيرها بما يتفق مع مصالحهم , ولذلك يبقى احتمال الصراع قائماً ما دام هناك لا مساواة في توزيع القوة وإنّ كان كامناً في مراحل زمنية

أطلق دارندورف على المصالح مصطلح مصالح كامنة ومصالح ظاهرة تظهر عند الوعي بها , إذن ارتبط وقوع الصراع بتبلور الوعي والتنظيم وقسم دارندورف هذا التطور إلى ثلاثة مراحل يبدأ بما أسماه شبه الجماعة وتمثل أدنى مستويات الوعي والتنظيم وهذا يجمع من يشغلون أدوار متماثلة المكانة والوضع ثمّ تتحول هذه عند اكتشاف تماثل المصالح وزيادة وعيها إلى جماعات مصالح وهذه المرحلة تمتاز عن سابقتها بتشكل بناء أكثر تنظيماً ومع ظهور قيادات لهذه الجماعة وبرامج وأهداف مشتركة فعندما تصل إلى هذا المستوى من الوعي والتنظيم تمنح الخاضعين القوة والقدرة على التغيير من خلال القدرة على الفعل فيحدث الصراع

فعملية الصراع إذن ترتبط بدرجة الوعي والتنظيم وهي دائمة بدوام اللامساواة في توزيع السلطة .

إذن السلطة الممنوحة الى المواقع الاجتماعية هي عنصر رئيسي في المنظور السوسيولوجي لداهرندوف وهؤلاء الأشخاص الذين يتمتعون بمواقع سلطوية يُنتظر منهم التحكم بأولئك الذين لا يملكونها ، ونظرا لأن السلطة تكتسب شرعية معينة فعلينا أن ننتظر معاقبة كل من يخالفها

- ان علاقات السلطة هي دائما علاقات سيطرة –خضوع
- حينما وجدت علاقات السلطة ،فان العنصر القيادي يتوقع اجتماعيا ان يسيطر بموجب الأوامر و التعليمات و التقديرات و التحديات الواقعة على سلوك العنصر الخاضع
- ان التوقعات الملتصقة باستمرار نسبي بالمواقع الاجتماعية ذات الشرعية لانها لا تلتصق بالاشخاص
- التوقعات تتضمن تحديدات للأشخاص الخاضعين للسيطرة
- ان شرعية علاقات السلطة تتضمن احدى وظائف النسق القانوني ،حيث ان العقاب يكون نتيجة عدم الخضوع للاوامر

في اطار علاقات السلطة يميز دارندوف بين السيطرة و الخضوع و هما الثنائية التي تولد الصراع ،فالسيطرة تعني المشاركة في ممارسة السلطة ،اما الخضوع فيعني الحرمان من ممارسة السلطة (الحوراني :النظرية المعاصرة في علم الاجتماع).

حاول دارندوف اجراء نوع من التوليف بين بعض طروحات الصراع و طروحات الوظيفية ليحصل على فكرة المنظمة المترابطة بالقسر imperatively co-ordinated system و هذا المصطلح المؤخود من فيبر يستخدمه دارندوف للدلالة على نسق السلطة أو نسق القوة ....فالقوة تنحو الى الاعتماد على القسر بينما السلطة فهي سلطة شرعية (أيان كريب :النظرية الاجتماعية)و هذا يعني ان **أي تنظيم** توجد فيه السلطة و ان وجود السلطة في حد ذاته يخلق شروط الصراع ،..فالذين يملكون السلطة لهم مصلحة في إبقاء الوضع على ما هو عليه ،اما أولئك المحرومون منها فلهم مصلحة في إعادة توزيعها ،أي لهم مصلحة في تغيير الوضع القائم ...و هذه المصالح لها وجود موضوعي في بنية الأدوار الى جانب المصلحة الوظيفية التي تؤديها جميع الأدوار

يعلن داهرندوف هدف نظريته المتمثل في السعي لتوضيح التغيرات البنائية في ضوء صراعات الجماعات (السلطة و المواقع السلطوية و المعايير و الأدوار):

-في كل منظمة مترابطة بالقصر هناك نوعين من المواقع المحتشدة هي المواقع المسيطرة والخاضعة

-يوصف كل تجمع من خلال مصالح كامنة عامة، و تجمعات الأفراد التي تتحقق بموجبها تشكل شبه جماعات

-تتحول المصالح الكامنة (التي لا تكون مدركة لأصحابها) الى مصالح معلنة و تتحول شبه الجماعات الى جماعات مصلحة منظمة من النوع الطبقي

-ان تحول جماعات المصالح المعلنة الى جماعات صراع فعلية يمكن ان يكبح بوجود ظروف تقنية (العقود و الالتزامات)و الظروف السياسية (الائتلافات) و الظروف الاجتماعية (الاتصال) و الظروف السيكولوجية (استدماج مصالح الدور)

(الحوراني:النظرية المعاصرة في علم الاجتماع)

يمكن أن تتدخل عوامل في تشكيل أوجه الصراع كوجود نظام يتضمن طرقاً قانونياً تؤطر بدائل شرعية لفعل الصراع كالمفاوضات أو اللجوء للقانون أو المظاهرات والإضرابات لأنّ عدم وجود مثل هذه الطرق والوسائل الشرعية قد يؤدي إلى أعمال العنف أو الثورة.

قدم دارندورف تبريرات تبرر تجاوزه لمادية ماركس مستنداً على ما استجد من ظروف موضوعية وفكرية لكن هذه التبريرات لاقت نقدا خاصة ماجاء به زايلتن ، *تشمل تبريرات* دارندوف *و نقد زايلتن للقضايا التالية :*

التبريرات والردود عليها ضمناً :

- تحلل الملكية : و يعني بها دارندوف فك الارتباط بين القوة عن الملكية خاصة بعد تحول الشركات من عائلية إلى مساهمة و بدلك تحولت فيها القوة من المالك الى الأدارة و بذلك تحول الصراع الذي كان بين المالك و العامل الى صراع بين الأدارة و العمال .
- تحلل العمل و يعني به دارندوف تفكك الطبقة العمالية بظهور فئات عمالية غير متجانسة من حيث المهارات مما يؤثر سلبا على تجانس هذه الطبقة .
- أما بصدد قيام دولة القانون فقد لاحظ زايلتن أن دارندوف أهمل دور دور مالكي القوة في وضع التشريعات و القوانين و بهذا أهمل علاقات القوة و ما لها من دور في تشكيل الواقع
- أما معالجة الاقتصادي بالسياسي فيرى المعارضون *لدارندورف* أنه لا يزال ارتباط صراع القوة بالصراعات الاقتصادية كما قدم جونتان تيرنر انتقادات تضمن ما يلي :

-أن النموذج الذي قدمه دارندوف لا يعكس بدقة النظرية الماركسية

- تضمن طرح دارندوف تشابهه كبير مع البنائية الوظيفية كتركيزه على مفهوم النسق ...

- غموض بعض المفاهيم.

- أنّ ما جاء به كنظرية عامّة لا يساعد على تفسير المستوى الفردي للفعل وعدم تعريفه للصراع بدقّة ووضوح و عدم تحديده الدقيق لأطراف الصراع إن كانوا أفراد أو جماعات أو تنظيمات أو مجتمعات

خلاصة : داهرندوف يرى بأن الأصل البنيوي للصراعات الاجتماعية ينبغي البحث عنه في منظومة الادوار الاجتماعية التي تكشف عن مواقع الهيمنة ومواقع الخضوع . ولكي نفهم بنية سلطة مهيمنة ومهيمن عليها يجب أن نبحث عن طبيعة الأدوار الاجتماعية التي يضطلع بها كلا الفريقين . وعليه فإن المهمة الأولى عند داهرندوف في صياغته لنظرية الصراع تتمثل بتحديد أدوار السلطة المختلفة في المجتمع .

للتوسع في المطالعة

1- محمد عبد الكريم الحوراني : النظرية المعاصرة في علم الاجتماع
2- إبراهيم عيسى عثمان : النظرية المعاصرة في علم الاجتماع
3- إحسان محمد الحسن : النظريات الاجتماعية المتقدمة
4- ايان كريب : النظرية الاجتماعية